

وجعلهم أحسن الناس . وشاعرنا مدح هشاماً بمثل هذا ، وطلب منه المال لينقذه من همومه فقال :

تَعَرَّضْتُ الهمومُ لنا فقالتُ جماعة أَىُّ مُرْتَعَلٍ تُريدُ
فَقَدُّتُ لها الخليفة غير شكِّ هو المهديُّ والحكم الرشيدُ
وتبدأ منكم نعمٌ علينا وإنْ عُدْنَا فمنعكم مُعيدُ
تزيدون الحياة إلى حبا وذكر من حباتكم حميدُ
لو انَّ الله فضل سَعَى قَوْمٍ صَفَتَ لكم الخلافةَ والعُهودُ

أرأيت إلى الحاجة كيف تسوق الشعراء إلى أبواب الخلفاء ، لعلهم ينالون من نعمهم ، فإذا بلغوا وطهرهم زادت الحياة إليهم حبياً ، وفرحوا بالنوال فأشادوا بالخلافة وجددوا لها عهود الحب والوفاء ، فإذا رأيت مديحاً فاعرف أن وراءه يداً أسداها الخليفة إلى الشاعر ، أنقذه من بؤسه أو خلصه من حبسه أو أقطعه إقطاعاً ، فحجب إليه الدنيا وحرك لسانه بالثناء والشكر .

وهكذا نرى أن العصر الأموي كان كالعصر الجاهلي في المديح ، أشاد بالكرم عند الخلفاء وأثنى على الشجاعة ، وسعى إلى المال ، وتكسب لينال ، ويحظى بالجوائز والعطايا .

فإذا انتقلنا إلى العصر العباسي رأينا الشعراء يمتدحون ويتكسبون كذلك بشعرهم يرجون النوال والعطاء . ولكنهم زادوا في معاني هذا المديح وصوره ، ما يتلاءم مع الحضارة العباسية والحياة الاجتماعية الجديدة ومواسم الخلافة والملك وأعياد البلاط ومناسبات الحرب والسلام ، وأضافوا على المعاني القديمة صوراً براقية